

منظومة «ما يغنى عن المغنى» النحوية المعاصرة وشارحها

زينب رضاپور*

تاريخ الوصول: ٩٥/٥/١٥

تاريخ القبول: ٩٥/٧/٢١

الملخص

تعتبر منظومة «ما يغنى عن المغنى» من المنظومات النحوية التعليمية التي تنتمي إلى على أكبر نهاندى. إهتم الأديب المعاصر، محمد فريد نهاندى، بشرحها وسمّاها «شرح الجمل» أو «مكمل السيوطى». يرصد هذا البحث تسليط الأضواء على مبدع هذه المنظومة النحوية وشارحها. لم يستطع كتاب السير والتراجم التمييز بين الشارحين الذين اندرجا في المنظومات النحوية ضمن مسمى واحد. اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج الوصفى - التحليلى، ثم تقف الدراسة عند تعريف خالق المنظومة وشارحها موجزةً للكشف عن أهمّ المواضيع النحوية الواردة في هذه المنظومة النحوية المعاصرة. الكلمات الدليلية: المنظومة النحوية، محمد فريد نهاندى، تعليم النحو، الأدب المعاصر.

* عضو هيئة التدريس في قسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعة شهيد چمران أهواز، إيران (أستاذ مساعد).

المقدمة

تعتبر المنظومات النحوية ضرباً من ضروب الشعر التعليمي الذي أراد به المؤلف تعليم الناس، وتزويدهم بالحقائق والمعلومات التي تفيدهم في مجال تعليم اللغة لخلوّها من الأوبد والأخطاء اللغوية الشائعة. يحاول الناظم عبر خلق هذه المنظومات تقريب التعليم من التناول والموضوعية واجتناب اللغة المراد تعليمها من المؤثرات الخارجية، ومن ثمّ يوجد بين هذه المنظومات والشعر اختلاف كبير وبون شاسع، فالشعر على خلاف المنظومات النحوية ينتج عن قوة العاطفة والإحساس الزاخر بغية التأثير في السامع أو المتلقى. إنّ الممّع في اللغة العربية يجد أنّها تكتظّ منذ غابر الأزمان بكثير من المنظومات النحوية التي حاولت تعليم الأسس والمبادئ اللغوية للناس، لئلاّ تمتزج اللغة بالأخطاء والتوظيف المخطئ والسيء للكلمات والمفردات. فاللغويون العرب عرفوا هذا النمط من الشعر التعليمي منذ الجاهلية وحرصوا عليه. نجد كثيراً من الشعراء والأدباء في تلك الفترة قاموا بنظم هذه المنظومات التعليمية كعدي بن زيد العبادي.

اهتمّ بعض العلماء ورجال الدين في اللغة الفارسية كفريد نهاروندي بشرح هذه المنظومات النحوية وتبيينها، وتعليم الأسس والمبادئ اللغوية للطلاب والباحثين، ومن هنا يجب على كل طالب أو رجل الدين تعلّم لغة القرآن الكريم في بداية الأمر.

خلفية البحث

قام الأدباء والدارسون بتحليل شعر علي أكبر نهاروندي من جوانب وزوايا مختلفة، إلّا أنّهم لم يتطرقوا حتى الآن إلى دراسة منظومته النحوية، لأنّ هذه المنظومة تمّ طبعا في نسخة حجرية ولم تطبع حتى الآن على هيئة نسخة ورقية. من ثمّ قمتُ بدراسة هذه المنظومة عبر نسخة حجرية. لم تجر دراسة مستقلة قائمة بذاتها حتى الآن حول هذه المنظومة النحوية، فمن هذا المنطلق حاولت من خلالها تسليط الأضواء على هذه المنظومة النحوية وذكر المحاور النحوية الواردة فيها.

اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج الوصفي - التحليلي معتمداً على المصادر النحوية واللغوية وكتب التراجم خاصة منظومة فريد نهاروندي المسماة بـ«شرح الجمل».

على أكبر نهاوندى، حياته وأدبه

ولد آية الله الحاج الشيخ على أكبر بن شيخ ملا محمد حسين نهاوندى فى نهاوند سنة ١٢٧٨ هجرىاً، وتلقى العلوم الشرعية والعقلية بتلك المنطقة. ثم سافر إلى بروجرد وتلمذ لدى شيخ آقا حسين شيخ الإسلام وميرزا حسين تويسركانى. بعد فترة من الزمن ألقى عصا التسيار فى مشهد، إصفهان، طهران والعتبات العاليات ونهل العلوم الدينية من مناهلها الصافية واستفاد من كبار العلماء كشيخ عبدالرحيم البروجردى، مير سيد على الحائرى، ميرزا عبدالرحيم نهاوندى، محمد كاظم آخوند الخراسانى وشيخ محمد طه نجف. تلقى نهاوندى كافة العلوم الدينية والنقلية وحصل على رتبة الاجتهاد وتعلم علم الحديث لدى ميرزا حسين نورى، صاحب «المستدرک»، وحصل على رخصة الرواية من قبل ميرزا حبيب الله رشتى. من هذا المنطلق، اشتهر وذاع صيته فى الحوزات العلمية وحصل على مكانة مرموقة وسامية فى العلوم النقلية والعقلية التى جعلته كرجل عملاق وعلامة فى هذا المجال. سافر سنة ١٣١٧ هجرىاً إلى إيران إثر المرض الذى انتابه. فرافق سفره هذا تلك النهضة الدستورية التى وقعت فى إيران.

سافر إلى مشهد بعد مضى أربعة سنوات من النهضة الدستورية واستقبله الناس بحفاوة، وقام فى هذه المدينة المقدسة بإرشاد الناس وهدايتهم وإقامة الصلاة فى الجامع «جوهرشاد» مدة أحد وعشرين سنة، وحصل من خلال هذا الأمر على مصداقية عامة حيث اقتدى به كثير من العلماء والكبار وصار مرجعاً دينياً فى المدينة. قام نهاوندى بعد نهاية كل صلاة بإسداء النصح والخطب والمواعظ الحكمية واكتظت مواعظه بالسداد فى القول والتأثير فى النفوس وتتسم بالصدق فى التعبير والإخلاص. اختص نهاوندى بحالة الخضوع والخشوع الذى لا مثيل له عند الآخرين. سافر إلى مدينة قم سنة ١٣٦٧ هجرىاً واستقبله الشيخ عبدالكريم الحائرى، مؤسس الحوزة العلمية بقم. ترجل نهاوندى عن صهوة الحياة ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٩ هجرىاً ودفنت جثته المطهرة فى دار العادة جنب المضجع المبارك للشيخ مرتضى آشتيانى. كان الشيخ على أكبر نهاوندى حريصاً على تعلم الشعر والمقطوعات الأدبية والعبارات والجمل الموزونة فى الأدبين العربى والفارسى، وهذا الأمر ما ينجلى من خلال إمعان النظر فى آثاره القيمة التى تكتظ بذكر الأشعار والجمل الحكمية والعبارات الرشيقة والسديدة. كان يحاول دائماً خلال بحوثه

الأدبية توظيف المعاني السامية والمرموقة التي يرتضيه الناس واستخدام الجمل والعبارات المسجعة والموزونة. من أهم آثاره التي تتسم بهذه الصفة: «جنتان مدهامتان، خزينة الجواهر، العبقري الحسان، گلزار اكبرى و لالهزار منبرى، طور سيناء فى شرح حديث كساء، الجنة العالية والحجة الغالية، الياقوت الأحمر فى رأى حجة المنتظر» (تهرانى، ١٣٥٥، ج ١٥: ٨٤، ج ٣: ١٥٢، ج ٥: ١٠٩، ج ٦: ١٥٩، مدرس، ١٣٥٢، ج ٦: ٢٦٩، تهرانى، ١٩٥٤م، ج ١: ١٥٩٩، معلم حبيب آبادى، ج ٦: ٢٢٠٧، زنگنه، د.تا: ٢٧٧ و ٢٧٦، نيك پرور، ١٣٥٥: ٢٣١).

نسخ هذه المنظومة

لقد بحث الدارس من أجل إعداد هذا البحث عن كثير من المكاتب كمكتبة الخراسان و قم التي أقام فيهما فريد نهاوندى (مؤلف المنظومة) منذ فترة والنسخ الخطية العربية والفارسية والمواقع الإنترنتية كموقع *آقا بزرك طهرانى* وأستان قدس الرضوى ومجلس الشورى الإسلامى، مجمع الذخائر الإسلامية، ومكتبة *آية الله مرعشى النجفى*، مكتبة الحوزة الإسلامية بقم، ومكتبة كنگره، ومركز الوثائق والذخائر الثقافية. تبين لى من خلال هذه المحاولة أنّها لا يوجد أى مخطوطة من هذا الشرح النحوى. لقد قام كثير من النابغين والدارسين فى الأدب العربى والفارسى بشرح الأسس والمبادئ النحوية فى اللغة العربية كعبد القاهر الجرجانى و *الزجاجى* و *شريف مرتضى* وكل واحد منهم سمى شرحهم «شرح الجمل»، الذى يشتبه بشرح الجمل *لنهاوندى*. هناك يوجد نسخة حجرية من «شرح الجمل» *لنهاوندى* وقد أشار *خان بابا مشار* فى «فهرس الكتب العربية» المطبوعة إلى هذه النسخة الحجرية (مشار، ١٣٤٤: ٥٦٢ أنظر: مشار، ١٣٤٣: ٦٦٢).

نظرة إلى المنظومة

أنشدت هذه المنظومة النحوية (ما يغنى عن المغنى) فى بحر الرجز وبخاصة المزدوج منه، والسبب يعود إلى أنّ هذا البحر يناسب وبحور الشعر من حيث التنغيم والتطويل فى التفاعيل والزحافات والعلل، فضلاً عن خلوّ المشطور فيه من الإلتزام بالقافية. من أهم السمات الواضحة لهذه المنظومة أنّها طويلة لما تشتمل على جمع شتات العلم فى مجال

النحو وتعليم اللغة. يتبين لنا من خلال إمعان النظر في هذه المنظومة أن فريد نهاوندى بما أنه من رجال الدين اهتمّ بشرحها وتنقيحها ابتغاء تعليم العلوم والقضايا الإسلامية والدينية، فمن هنا اتخذ هذه المنظومة وسيلة طيبة لتعليم الأسس والمبادئ الدينية للطلاب والباحثين.

حاول نهاوندى من خلال شرحه تيسير النحو وإبداع سبيل جديد لتعليم النحو ومن تعلم هذه المنظومة بحذافيرها يحمل في ذهنه كثيراً من صنوف المعرفة.

تشتمل هذه المنظومة على ٥٢ بيتاً وسمّاها المؤلف «ما يغنى عن المغنى لمن طرفه إلى بابيه الثانى والثالث». تناول الشارح كافة أبواب الصرف والنحو ومن هنا صارت منظومة مطوّلة نظراً لطول أبواب الصرف والنحو وكثرة مسائلهما والشاعر لم يترك باباً أو مسألة من المسائل الصرفية والنحوية إلا طرقها وعرض لها وأكمل نقصها. وهذا يدلّ على أنّ للمنظومات تأثيراً كبيراً فى تعليم النحو وإثراء الأبواب النحوية.

يتبين لنا من خلال إمعان النظر فى تضاعيف هذه المنظومة النحوية أنّ المؤلف لهذه المنظومة وهو على أكبر نهاوندى لم يترك أى أبواب ومحاور من النحو إلا طرقها. لا ريب أنّ هذه المنظومة النحوية تلخّصت من الباب الثانى والثالث لـ «مغنى اللبيب» لابن هشام الأنصارى. اهتمّ نهاوندى خلال كتابه هذا بشرح المواضيع والنقاط النحوية الواردة فى البابين الثانى والثالث لكتاب الأنصارى.

يشتمل الباب الثانى لكتاب «مغنى اللبيب» على أقسام الجملة وأحكامها والباب الثالث على شبه الجملة وأحكامها. بناء على هذا، اهتمّ على أكبر نهاوندى بذكر أهم النقاط والمواضيع النحوية فى شرحه وبيان نماذجها وذكر مواضع الاستعمال ولم يأت بكل المواضيع الواردة فى هذين البابين بحذافيرها.

نستطيع من خلال تدقيق النظر فى هذه المنظومة النحوية الحجرية أن نشير إلى أهم المحاور الفكرية والنحوية الواردة فيها بصورة موجزة:

الأول: الجمل التى لا محل لها من الإعراب وقد وردت على سبعة أقسام: صلة الموصول. الجمل المستأنفة. الجملة التفسيرية. جملة القسم. الجملة التى تقع جواباً للشرط غير مقترنة بالفاء أو إذا الفجائية. الجمل المعترضة أو الاعتراضية التى تقع فى المواضع التالية: بين الجملتين الاسميتين أو الفعليتين أو المختلفتين، بين أحرف النفى

والفعل، بين الفعل وحرف «قد»، بين القسم وجوابه، بين الفعل وأحرف التنفيس، بين الموصول وصلته، بين الشرط والجواب، بين أجزاء الجملة (كالفعل والفاعل أو نائب الفاعل، أو الفعل والمفعول أو المبتدأ والخبر) والناسخ وصلته، والخافض والمخفوض والتابع والمتبوع والتأكيد. وأخيراً بين الجملة التابع لما لا محلّ له من الإعراب.

الثاني: الجمل التي لها محلّ من الإعراب وهي على سبعة أقسام: ١- الجملة التي حلت محل الخبر (خبر المبتدأ وخبر إنّ وأخواتها وخبر لا النافية للجنس وخبر كان و كاد وأخواتهما وخبر ما ولا الشبيهتين بليس). ٢- الجملة التي تقع حالاً ٣- الجملة التي تقع مفعولاً به ٤- الجملة التي تأتي مع المضاف ٥- الجملة التابعة لمفرد ٦- الجملة التابعة لما له محل من الإعراب. ٧- جملة الخبر أو الشرط الجازم وهو مقترن بفاء الجزاء أو إذا الفجائية. أشار الكاتب في متابعة الكلام إلى أهم المواضيع الواردة في كتاب «مغنى اللبيب»، منها حكم شبه الجملة في التعلّق وما يجب حذفه في هذا المجال من شبه الجمل منها ما تلى: إذا وقع شبه الجملة حالاً أو صفة أو صلة أو خبراً أو أن يرفع الاسم الظاهر أو أن يستعمل المتعلق محذوفاً في ألفاظ كمثل وشبه ونحوهما. أو أن يكون المتعلق محذوفاً على شريطة التفسير.

يتبين لنا من خلال هذه المنظومة النحوية أن المؤلف في تبیین المواضيع النحوية قلما يعتمد إلى استخدام ألفاظ كالأول والثاني وغيرهما، بل يقوم بتبويب الأقسام من خلال توظيف العبارة (و جملة...) ويذكر أقسام الجملة وحكمها في بيت أو بيتين. يتضح لنا من خلال ما مرّ عن المنظومة أنّ العناوين النحوية والموضوعات المطروحة كانت نسبية ومن هنا فلا بدّ للتيسير. بناء على هذا وردت المحاور النحوية سهلة ميسّرة دون طول وإسراف وتعقيد في الأداء. ويبدو لنا من خلال المنظومة أنّ هذا الأمر من سمات نهاوندى في تأدية المعنى المراد. يمزج المؤلف بين العناصر النحوية الكلية التي تغطى مساحة كبيرة والعناصر الجزئية التي تشغل مساحة صغيرة في النحو.

شرح الجمل وشارحها

«شرح الجمل» أو «مكمل السيوطي» كتاب يشتمل على شرح المواضيع النحوية وتفسيرها وذكر أحكامها الذي ألفه محمد على حائرى سنة ١٣٦٦ هجرياً. لقد عمد فريد

نهاوندى فى كتابه «شرح الجمل» إلى مقاصد الشارح فى كتاب «ما يغنى عن المغنى» وأورد فى كتابه هذا بعض المواضع النحوية التى تم من خلالها تكميل هذا الكتاب.

تعريف محمد فريد نهاوندى

مات فريد نهاوندى فى عنفوان الشباب ولم يبق منه أى أثر أدبى يبيّن حياته، ومن ثمّ لم يذع صيته كما ذاع صيت جدّه. لم يذكر اسم فريد نهاوندى بين الكتب والآثار الأدبية ولم يتطرق الكبار إلى دراسة حياته ومنهجه الفكرى، بل أشار بعض المفكرين كمحمد شريف رازى بصورة وجيزة إلى حياته وسيرته، وحاول من خلال ذلك تعريف شخصيته وأعماله الأدبية ومن هنا صار فريد عالماً مغموراً ومجهولاً. يعتبر الشيخ محمد نهاوندى المعروف بفريد نهاوندى حفيداً للشيخ على أكبر نهاوندى. من النقاد من ذهب إلى أنّه وليد الحاج على أكبر، إلّا أنّه كان حفيده حسب الوثائق التى تبين حياته وانتمائه إليه. من أهم هذه الوثائق التى توضح نسبه ما ورد فى هذه المنظومة النحوية التى اعتبرته سبباً للشيخ على أكبر من جانب، ومن جانب آخر اتخذته محمد شريف رازى الذى أقام صلوات وطيدة بينه وبين الحوزات العلمية وكبار العلماء فى غابر الأزمنة حفيداً للحاج على أكبر، مع أنّ محمد شريف رازى كان ممن حصل على رتبة رواية الحديث برخصة من الحاج شيخ على أكبر سنة ١٣٦٤ هجرياً.

يتبين لنا من خلال كتاب محمد شريف رازى الذى تحدّث فيه عن فريد نهاوندى أنّ فريد كان حفيداً لآية الله شيخ على أكبر نهاوندى الخراسانى الذى يعدّ من كبار العلماء والفضلاء فى الحوزة العلمية، الذى أنهى دراسته فى مدينة مشهد ودرّس هناك العلوم الدينية والشريعة إلى أن وافته المنية بطهران سنة ١٣٨٨ هجرياً (شريف رازى، ١٣٧٠: ٢٠٣). ترك فريد نهاوندى مؤلفات أخرى فضلاً عن «شرح الجمل»، من أهمّها أسرار الصلاة التى تشتمل على مقدمة وخمس عشر فصلاً وديوان ينطوى على المدائح والمراثى والغزل الذى تمّ طبع قسم منه فى نهاية كتاب أسرار الصلاة.

هناك فرق كبير وبون شاسع بين محمد نهاوندى الذى عرف بفريد نهاوندى وبين الشيخ محمد بن عبد الرحيم نهاوندى الملقّب بالتجلى. نسب تفسير القرآن الكريم إلى فريد نهاوندى فى إحدى الكتب التى تم نشرها قبل الثورة الإسلامية حيث لم يوجد فى

أى كتاب هذا الانتساب. أشار على دوانى فى كتابه «مفاخر الإسلام» إلى أنّ الفقيه الشيخ محمد نهاوندى كان من تلامذة آخوند الخراسانى، وهو خالق «التفسير النهاوندى». كان أبوه عبدالرحيم نهاوندى (دوانى، ١٣٦٠، ج ١١: ٣٠٣٠). مما يجدر بالذكر أن آية الله الشيخ محمد نهاوندى الذى تلقب بالتجلى كان وليد علامة ميرزا عبدالرحيم (١٢٣٧-١٣٠٤) ابن ميرزا نجف مستوفى الذى يعدّ من العلماء المبرزين وكبار المفسرين فى آستان قدس، والذى تلقب بزین العلماء والمفسرين. ولد بالنجف الأشرف سنة ١٢٩٢ للهجرة وحفظ القرآن الكريم بأسره، وصرف سبع سنوات من عمره لكتاب خصّه لتفسير القرآن الكريم وترجّل عن صهوة الحياة سنة ١٣٧١ هجرياً (تهرانى، ١٣٥٥ق، ج ٩: ١٠٠٦ و ج ٢٤: ٢٤٧، مدرّس، ١٣٥٢، ج ٦: ٢٦٧، زنگنه، د.تا: ١٠٤، تفضلى، ١٣٧٢: ٥٢٥).

تقرير لأديب النيسابورى الثانى للمنظومة

يعرف الاثنین من العلماء والكبار فى منطقة الخراسان بالأديب وتلقب به و هما اللذان اشتهرا بـ "الأديب الخراسانى": ميرزا عبدالجواد أديب النيسابورى ١٣٤٤ق ومحمد تقى أديب النيسابورى ١٣٩٦ق. تشابه والتبس هذا الإسمان لدى القارئ أو المخاطب حيث يصعب عليه التمييز بينهما. فى معظم الأحيان إذا قيل الأديب النيسابورى يراد به عبدالجواد الأديب النيسابورى، وإذا قيل الأديب الثانى يراد به الشيخ محمد تقى الأديب النيسابورى.

تتلمذ محمد تقى الأديب لدى ميرزا عبدالجواد ونهل من معارفه الصافية وبرع فى كثير من العلوم العقلية والأدبية كالأدب العربى والفارسى، المنطق، الفلسفة، التفسير والحديث، الفقه والأصول، الطب. اختير مدرّساً فى آستان قدس وكان رجلاً كبيراً سلك مسلك العرفان وخلق آثار قيمة فى هذا المجال كـ «گوهر نامه، آيين نامه، ستايش نامه» (محقق، ١٣٦٥: ٣٣). كان التلامذة يحضرون مجالسه ويرتشفون من مناهله العذبة حسب ما ذكره بعضهم كمحمد رضا حكيمى وعلى أكبر إلهى الخراسانى. يقول محمد رضا حكيمى، أحد تلامذته، عن أديب النيسابورى: كان الأستاذ يلقى بعض الدروس من غير مثيل ولا نظير، كـ «شرح السيوطى، المغنى، المطول، شرح النظام» (نفس المصدر: ٥٤). كان الأديب الثانى أستاذاً لفريد نهاوندى وقد أشار الأديب فى كتابه «شرح المطول»

إلى المكانة المرموقة والسامية لفريد نهاوندى حيث عدّه من المبرزين وكبار الرجال. مما لا يدع أى ريب فى نسبة شرح الجمل إلى فريد نهاوندى أنّ محمد تقى، الأديب الثانى، اتخذ شرح النهاوندى من أوثق النصوص وأحكمها فى تنمية المقدرة النحوية لدى المخاطب أو المتعلم حيث يقول: «فقد أسميت شرح نظرى وسرحت طرف بصرى إلى مطالعة الرسالة الشريفة الموسومة بما يغنى عن المغنى، فوجدتها كما سميت بابه الثانى والثالث، تغنى مع أنّها بألفاظها تزهو على أزهار الأكمام وبمعانيها وضعت على طرف الشام. عباراتها الرائقة أعذب من الماء الزلال ونكاتها الفائقة ألطف من السحر الحلال، فهذه إقرأوها أيّها الراغبون فى علم الإعراب وخذوها ثمّ وعوها فى صدوركم يا أولى الألباب وقد يرزق من يراع» (نهاوندى، ١٣٦٦: ١).

أحال فريد نهاوندى فى بعض فقرات من شرحه إلى أستاذه الأيب الثانى حيث يقول: كما قرّر هذا الموضوع عند أستاذنا الأديب/النيسابورى مدرّس مدرسته (نفس المصدر: ٤٢).

منهج المؤلف فى المنظومة

الأمر الذى لا شكّ فيه أنّ القدامى من النحاة عمدوا إلى تأليفات عديدة فى مجال النحو وتعليم اللغة العربية وصونها من الأخطاء، فكان نهاوندى لم يعتبر من الرواد فى مجال التأليف النحوى وقد سبقه من تحدّث عن النحو ومبادئه وأسسها. الذى لا يترك أى مجال للريبة أنّ نهاوندى كان فى تأليفه هذا حريصاً أشدّ الحرص على الجانب التعليمى للمخاطب، فظهرت هذه المنظومة على حساب القواعد والأسس النحوية.

سلك المؤلف فى منظومته هذه منهجين متباينين:

المنهج الأول: منهج عوام الناس الذين يريدون تعلّم النحو ولا يهتمهم التدقيق فى التفاصيل النحوية وسبر أغوارها والولوج فى أعماقها. فمن هنا يكتفون بالكليات بدل التفاصيل. يظهر الأمر فى تضاعيف الأبيات والأسطر الشعرية للمنظومة.

المنهج الثانى: وهو الذى يختصّ بالدارس والباحث المتخصص خاصة إذا كان الطلاب والباحثون من رجال الدين وطلاب الحوزات العلمية. وفى هذه الحالة لا بدّ للمبدع أن يتطرق إلى سبر الأغوار والولوج إلى الأعماق. من هنا صار تعليم النحو لديه غاية تعليمية.

لا مشادة أنّ هذه المنظومة صارت بعيدة عن الخلافات النحوية والمواقف النحوية المثيرة للجدل والبحث. ومن المعلوم أنّ المؤلف كان على ثقة بأنّ المنظومة التعليمية يجب أن تتخلى وتتنازل عن هذه المواقف الجدلية. اهتمّ المبدع ههنا بالجزئيات النحوية والتقسيمات والقواعد النحوية الدقيقة والتمثيل لها. وانصبّ اهتمامه على ذكر القاعدة النحوية والإتيان بالتفاصيل. يمثل هذه المنظومة نمطاً من التطور النحوي والنضج اللغوي عند المبدع من حيث استعراض آراء النحويين من المتقدمين والمتأخرين، ومناقشتها واختيار ما يترجّح منها أو ترجيح بعض المواقف والآراء النحوية مع التعليل. اتسم أسلوب المبدع في المنظومة بالسهولة والابتعاد عن التعقيد والتكلف والالتواء كما ظهرت الأمثلة النحوية معبّرة عن المعنى المراد.

محاوّر شرح الجمل وسياقه

حاول الشارح من خلال المنظومة تيسير علم النحو حيث أراد أن يجعلها قريبة وحاضرة في ذهن المتلقى، وتمكّن الأمر عبر صياغتها بأسلوب سهل يتسم بالوضوح وعدم التكلف وخلوّ الكلام من أي تعقيد.

بدأ فريد نهاوندى شرحه بالحمد والثناء على الله جل وعلا والتحية على النبي المرسل، وأطلق اللسان على حمده وشكره لما وفقه في إنجاز هذا الجهد المتواضع. ثمّ عمد إلى شرح المنظومة بقوله «قال المصنّف» حيث يقول: «وجعل الجنّة مثوبة. قال من القول بمعنى التكلم محبّ العلم. اللام إمّا للجنس وإمّا للاستغراق الحقيقي أو العرفي، وإمّا للعهد أي محبّ للعلوم المعهودة وهي علوم القرآن والأحاديث والأحكام وعلوم العربية الأدبية التي يكون هذا المقال بعض شعبة من شعباتها» (نهاوندى، السابق: ٢-١).

إنّ هذه المصطلحات والعبارات الواردة في نصّ المنظومة تلعب دوراً محورياً وبارزاً في تأصيل القواعد النحوية والأسس اللغوية وتجسيدها لدى القارئ أو المخاطب. لا نبعد إذا قلنا إنّ هذه المصطلحات في معظمها هي المفردات والمصطلحات التي استخدمها النحاة الأوائل ضمن المنظومات النحوية، واستلهمها المؤلف داخل هذه المنظومة للإشارة إلى ذلك الاقتباس والمدّ اللغوي الذي ساعده على هذا التأليف النحوي ومدّ طاقاته الفكرية. رافق نهاوندى شرحه لأقسام الجملة وشبه الجملة بذكر الأمثلة والآيات القرآنية والأحاديث

النبوية. فى معظم الأحيان عمد إلى شرح الأبيات النحوية وبيان سماتها اللغوية، والصرفية ويكشف عن معنى المفردات والمصطلحات داخل الأسطر الشعرية. ولا يتبع ههنا وتيرة واحدة، بل ربما نجد نمطاً من التشويش والإخلال فى شرح الأبيات والأسطر النحوية. من المستحسن الإتيان بالوظيفة النحوية والصرفية للمفردات والمصطلحات فى الهوامش بغية انسجام النص وتلائمه. ذكر نهاندى مفردات المنظومة بالفونت الأسود ثم وضّحها. نلاحظ فى بداية المنظومة أنّ الكاتب جزأً بعض المفردات والمصطلحات من المفردات الأخرى داخل النص عبر الخطوط السوداء (ص ٥-١). وفى الصفحات التالية نجد أنّ هذه الخطوط رسمت فوق الآيات القرآنية (٥٣-٥٤).

مما لا ريب فيه أنّ هذه المنظومة النحوية لم تأخذ حقها فى الظهور وذيوع الصيت وبقيت مغمورة، ولم تشتهر على الساحة النحوية ولم تحصل المنظومة كباقي المنظومات على الشهرة؛ ولعلّ السبب يعود إلى وجودها نسخة حجرية دون تدوينها وتبويبها ضمن نسخة ورقية وعدم تواجدها لدى الكتاب والباحثين بسهولة. فقد كانت مطمورة ضمن النسخ الحجرية ولم يبرزها أحدٌ. هنا سبب آخر يعود إلى أنّ المؤلف كان من الوجوه المتألقة فى الأدب الفارسى ولم يذع صيته فى الأدب العربى كما ذاع فى الأدب الفارسى. يبدو أنّ ذلك كان سبباً قوياً فى خفاءها وعدم الكشف عنها أو الاهتمام بأمرها. وربما كان السبب الآخر يعود إلى صغر حجمها بالقياس إلى المنظومات النحوية الأخرى التى تنطوى على ألف بيت أو يزيد. وينجم السبب الأخير عن وقوع الإلتباس الذى ظهر عبر تسمية هذه المنظومة بشرح الجمل للسيوطى. كل هذا دار فى ذهنى وأنا بين الإقبال والإدبار حتى عثرتُ على نسخة حجرية من المنظومة.

عمد فريد نهاندى فى شرحه إلى توظيف بعض التراكيب اللغوية كاللفظ الأول واللفظ الثانى حيث يقول: «فأول من تلك الأقسام السبعة، والثانى من تلك الأقسام السبعة جملة يدعونها المستأنفة لاستينافها وابتداعها فى الكلام، والسابع من تلك الأقسام السبعة، على خلاف ذلك الشرح الذى أتى به صاحب الكتاب ما يغنى عن المغنى» (نفس المصدر: ١٣). يتبين لنا من خلال المقارنة بين البابين الثانى والثالث لكتاب «مغنى اللبيب» و«شرح الجمل» لنهاندى أنّه قام بتبويب الشرح وتنسيقه حسب «مغنى اللبيب» لابن هشام الأنصارى ومن هنا يوجد بينهما مماثلة ومقارنة قريبة. فقد حذا نهاندى حذو الأنصارى

فى تبويب الكتاب وتنظيمه وشرح النماذج الشعرية والآيات القرآنية. اللهم إلا أن نهاوندى أسهب الكلام وبسط الشرح والتفسير فى بعض الأحيان؛ كما نلاحظ فى صفحة ٢٨ من الشرح حيث أتى الشارح فيها بالجمل التى تقع خبراً مع ذكر التفاصيل والنماذج المختلفة منها.

نلاحظ أن نهاوندى يقوم بتكميل بعض المحاور النحوية الواردة فى الكتاب «ما يعنى عن المغنى» الذى لم يألوه الكاتب أى جهد. بذل فى هذا المجال قصارى جهوده وذيله نهاوندى ورتبه فى عناوين فرعية كالتذنيب الأول والتذنيب الثانى؛ كما نلاحظ فى صفحة ٤٦ التى قسم نهاوندى الجملة إلى الصغرى والكبرى حيث لم يذكر هذه القضية فى الأبيات الشعرية قائلاً «هذا ما ذكره المصنف من بعض أقسام الجمل وبعض أحكامها وبقي بعض أحكامها المشهورة، ونحن نتممها فى ضمن التذنيبات. التذنيب الأول أنه قد يقال للجملة صغرى وقد يقال لها كبرى وقد يقال لها صغرى؛ و كبرى بالاعتبارين، لأن الجملة إن وقعت خبراً عن مبتدأ تسمى تلك الجملة بصغرى إسمية أو فعلية أو ظرفية وإن كان خبراً لمبتدأ فيها جملة كذلك فتسمى بكبرى نحو قولك: زيداً قام أبوه و أبوه قائمٌ، فجملة «قام أبوه» و «أبوه قائمٌ» صغرى و المجموع كبرى. وجه تسميتها بهما واضح لأن المنطوق فيها هنا بالاعتبار كما لا يخفى. قد تكون الجملة صغرى وكبرى بالاعتبارين كما فى الجملة «زيد أبوه غلامه منطلق»، فمجموع هذه الجملة كبرى لا غير و «غلامه منطلق» صغرى لا غير و «أبوه غلامه منطلق» صغرى باعتبار جملة الجملة و كبرى بالنسبة إلى «غلامه منطلق» و المنطوق فى التسميه كما ذكر» (نفس المصدر: ٤٧-٤٦).

حينما يشرح ويفسر الأبيات النحوية يستخدم الفعل المضارع «أقول» التى يظهر بالفونت الأسود وبحجم أكبر بالنسبة إلى الألفاظ الأخرى. هذه المفردات والمصطلحات تعتبر أيضاً أشمل وأعمّ يبين الزوايا النحوية لنهاوندى حيث حاول من خلالها تسجيل الأمر بذكر النماذج والتوثيقات. فعلى سبيل المثال يقول: «ولمّا زاد بعض من النحاة قسماً رابعاً وهو المسمى بالجملة الشرطيّة مع دخوله فى الأقسام الفعلية على بعض الوجوه نبه المصنّف بعدم كونها قسماً رابعاً» (نفس المصدر: ١٠). لكن المؤلف لم يذكر الشرط على حدّ سواء واعتبره من الجملة الفعلية. فى متابعة الكلام يقول نهاوندى: «أقول إن كان المراد بالجملة الشرطيّة مثل ما مُثّل فالحقّ حينئذٍ دخولها فى الأقسام الفعلية وإن كان

المراد بها مثل قولك «من يقيم أقم معه»، ممّا كانت كلمة الشرط فيها اسماً مبتدأ فليس ذلك الحقّ بالحقّ، و لعلّ هذا دليلٌ من إفرادها. فتأمّل وبالجملة فالتعميم لا يخلو عن إشكال» (نفس المصدر: ١٠).

ذكر المؤلف في شرحه بعض النماذج من الشعر والحديث، منها ما يقول عن شيخ عطار المصري:

فنجوّ وصرفّ عروضٌ بعده لغةً
ثمّ اشتقاقٌ وقريضٌ الشعرُ إنشاءً
(نفس المصدر: ٢)

من النماذج الأخرى ما ورد: أقول له ارحل لا تقيمنّ عندنا وكذلك من قول النبي(ص): «كل أمر ذى بال لم يبدأ بسم الله فهو أقطع» (نفس المصدر: ٤) و«طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله» (نفس المصدر: ١٤). اكتظ شرح الجمل بالنماذج والآيات القرآنية التي اقتبس معظمها من البابين الثانى والثالث لـ«مغنى اللبيب».

وجد المؤلف أحياناً يحيل إلى أقوال الآخرين من النحاة وهذه التوثيقات فى معظمها وردت على هذه الصورة: عند بعض من النحاة (نفس المصدر: ٨٠، ١٠)، قال بعض النحاة (نفس المصدر: ٤١)، عند العلماء والنحاة (نفس المصدر: ١١)، يدعونها النحاة (نفس المصدر: ١٣)، لما تليها عند النحاة ويسمونها النحاة (نفس المصدر)، ثابت بين النحاة (نفس المصدر: ٣٧)، عرف عند الجمهور من النحاة (نفس المصدر: ٥٠) والجمهور ذهبوا إلى هذا الرأى (نفس المصدر: ٣٢)، عند الجمهور (نفس المصدر: ٤٣-٥٠)، والجمهور يحسبونه من النحو (نفس المصدر: ٤٤) و على مذهب الجمهور (نفس المصدر: ٥٤).

بما أنّ هذا الشرح ظهر بمثابة صورة ملخصة من البابين الثانى والثالث لـ«مغنى اللبيب»، فمن هنا استفاد كثيراً مما أتى به الأنصارى فى كتابه، ومنه ما ورد هكذا: قال ابن هشام فى «المغنى» (نفس المصدر: ١٦)، ومنها عبارة ابن هشام فى «المغنى» فإنّه قال هكذا (نفس المصدر: ١٩) قول ابن هشام (نفس المصدر: ٤٣)، و هى كما قال الشيخ (نفس المصدر: ٢٦-٣١). وفى بعض الأحيان يذكر أقوال الآخرين: قول صاحب «الكافية» (نفس المصدر: ٨)، قال فى «الكشاف» (نفس المصدر: ١٦)، ابن الحاجب (نفس المصدر: ٣٢)، ابن مالك والزمخشري (نفس المصدر: ٤٣)، السيد شريف الجرجاني (نفس

المصدر: ٥٠). وهذه الطريقة تفيد متعلمى النحو لأنها تمكّنهم من استيعاب القضايا النحوية استيعاباً شاملاً.

هذه العبارات والتوثيقَات تدلّ على تلك الجذور الوطيدة والوثيقة التي توجد أحياناً بين الشارح و المتقدمين والنحاة، الذين إستفاد نهاوندى خلال الشرح من مواقفهم النحوية وآرائهم الأدبية فى مجال تعليم اللغة وإفراغها من الحواشى والأوابد ووضعها على الصورة التي نلاحظها.

نتيجة البحث

تبين لنا من خلال هذا البحث أنّ للمنظومات النحوية دوراً هاماً وبارزاً فى تنشيط النهضات الفكرية واللغوية عبر القرون والعصور، وحاول النحاة والشارح من خلال المنظومات النحوية تعليم اللغة وصونها من الأوابد والأخطاء اللغوية. اتخذ على أكبر نهاوندى المؤلف لمنظومة «ما يغنى عن المغنى» هذه المنظومة بمثابة وسيلة طيبة لتعليم اللغة العربية للباحثين والدارسين خاصة فى الحوزات العلمية. بعد فترة من الزمن قام محمد فريد نهاوندى، حفيده، بشرح هذه المنظومة وتفصيل ما جاء به جدّه خلال هذه المنظومة النحوية من محاور نحوية و صرفية وشرح مواضعهما وقضاياهما اللغوية. سمى محمد نهاوندى شرحه «شرح الجمل»، وأراد خلال هذا العمل الأدبى تعليم اللغة للطلاب والباحثين والكشف عن ذبوع صيت جدّه وتبيين أعماله الأدبية فى مجال تعليم اللغة العربية.

تبين لنا من خلال هذه المنظومة النحوية أنّ مبدع المنظومة أستفاد فى معظم الأحيان من مواقف النحاة المتقدمين كابن هشام الأنصارى وهذا مما جعل شرحه قريباً من هذا الكتاب النحوى. نجد بين هذه المنظومة وكتاب «مغنى اللبيب» نمطاً من التقارب الذهنى والعلمى وأحياناً ذكر نهاوندى فى شرحه نفس المواقف والآراء النحوية لابن هشام الأنصارى ونال من كتابه حظوة بالغة، ويتجلّى ذلك فى شرحه للقضايا النحوية شرحاً دقيقاً عن طريق الجمل والعبارات التي يقتضيها سياق المنظومة.

المصادر والمراجع

- ابن هشام انصارى، أبو محمد. ۱۴۰۴ق، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، به كوشش محمد محى الدين عبدالمجيد، قم: مكتبة آية الله المرعشى النجفى.
- تفضلى، آذر و مهين فضائلى. ۱۳۷۲ش، فرهنگ بزرگان ايران و اسلام، مشهد: آستان قدس رضوى. تهرانى، آقابرگ. ۱۳۵۵ق، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ۲۶ جلد، تهران: نشر اسلاميه.
- تهرانى، آقابرگ. ۱۹۵۴م، طبقات أعلام الشيعة، تحقيق على نقى منزوى، نجف: المطبعة العلمية. دوانى، على. ۱۳۶۰ش، مفاخر اسلام، تهران: بنياد فرهنگى امام رضا(ع).
- زنگنه، ابراهيم. بى تا، گزیده مشاهير مدفون در حرم رضوى، ج اول، چاپ دوم، مشهد: آستان قدس رضوى.
- شريف رازى، محمد. ۱۳۷۰ش، گنجينه دانشمندان، قم: اسلاميه.
- محقق، مهدى. ۱۳۶۵ش، يادنامه اديب نيشابورى، تهران: مؤسسه دانشگاه مك گيل شعبه تهران مدرس، محمد على. ۱۳۵۲ش، ریحانة الأدب، اصفهان: خاقانى.
- مشار، خان بابا. ۱۳۴۴ش، فهرست كتابهاى چاپى عربى، تهران: توس.
- مشار، خانبابا. ۱۳۴۳ش، مؤلفين كتب چاپى در فارسى و عربى از آغاز چاپ تا كنون، تهران: رنگين.
- معلم حبيب آبادى، محمدعلى. ۱۳۶۴ش، مكارم الآثار، اصفهان: كمال.
- نهاوندى، محمد فريد. ۱۳۶۶ش، شرح الجمل أو مكمل السيوطى، تهران: بى نا.
- نيك پرور، محمد. ۱۳۵۵ش، فهرست كتب چاپى خراسان در عصر پهلوى، تهران: روز.